الأكرم

من أسماء الله الحُسنى الأكرم ، قال الله تعالى :

﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ [العلق : ٣ـ٤] .

الأكرم : من أسماء الله الحُسنى ، لكنَّ هذا الاسم زائدٌ على الأسماء التسعة والتسعين المعروفة ، قريبٌ من هذا الاسم اسم الكريم ، وقريبٌ من هذا الاسم ذو الجلال والإكرام .

ويجب أن نعلم ويعلم كل مؤمن علم اليقين أنه مامن موضوعٍ في الدين يرقى إلى مستوى أن تعرف أسماء الله الحُسنى ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ هو القصد.. إلهي أنت مقصودي.. ورضاك مطلوبي ، ولأن الإنسان سوف يكون في معية الله عزَّ وجلَّ إلى أبد الآبدين ، فكلَّما ازدادت معرفته في الدنيا بربِّ العالمين سعد بقربه ، وكان في عداد أوليائه المقرَّبين ، فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[القمر : ٥٤ـ٥٥] .

لينظر كل مؤمن مليًّا إلى بعض الأشخاص كيف أنه يفخر إذا كانت له مكانةٌ عند إنسانٍ قوي ، لا يفتأ يتحدَّث عنه وعن علاقته به وعن مكانته عنده وعن حظوته لديه ، فكيف إذا كانت لك مكانةٌ عند خالق السموات والأرض ، الله ـ جلَّ جلاله ـ يقول :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾[مريم: ٩٦].

أنت في الدنيا تتعرف إلى الإنسان بعينيك ، ترى قامته ، ولون جلده ، لون عينيه ، شعره ، أناقته ، ثيابه ، تحدِّثه ويحدِّثُك ، تكلِّمه ويكلِّمُك ، تعامله ويعاملك ، تسافر معه ، وإن تجاوره تعرفه أكثر فأكثر ، فكيف السبيل إلى معرفة الله من أجل أن تحبه ، من أجل أن تخاف منه ، من أجل أن تعظمه ، من أجل أن تخضع له ، من أجل أن تجعله نهاية المطاف ، وأن تجعله هدفك الأول والأخير ، من أجل أن تعرف أنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وأنَّه بكلِّ شيء عليم ، من أجل أن تعرف الله ، من أجل أن تسعد بقربه ، من أجل أن تُفني شبابك في طاعته ، من أجل أن تُمضي حياتك في خدمة خلقه يجب أن تعرفه ، لذلك ما من عملٍ ، ما من جهد ، ما من نشاطٍ فكريٍّ يعلو على عمل يؤدي بك إلى أن تعرف الله حقاً .

الحقيقة وهذه أقولها كثيراً . . المعرفة المختصرة لا تقوى على حملك على طاعته ، فلابُدَّ من أن تتبحر في المعرفة من أجل أن تعرف من هو الله . . الله عزَّ وجلَّ يقول :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾

[النحل : ٦٥]

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم : ٥٤] .

ماذا يريد الله من هذه الآيات ؟ أي : يا عبادي اعرفوني ، بيدي

الشمس والقمر ، بيدي الليل والنهار ، بيدي خلقكم وبعثكم ، حياتكم وموتكم ورزقكم ، بيدي المطر ، بيدي الصحة والمرض ، بيدي كلّ شيء فلا تلتفت إلى سواي .

فلذلك عندما يعرف الإنسانُ اللهَ عزَّ وجلَّ وهو يدري من هو ويقدر لله قدره ، وهو يعلم علم اليقين أنه ربُّه وخالقه ، تجده قد التزم منهجه بشكلٍ صحيح ، أقبل عليه ، ابتغى مرضاته ، سعى إلى طاعته .

إذاً : فهذه المقدمة تتلخص في أنه لا شيء يعلو على أن تعرف الله سبحانه ، إنك إن عرفته أطعته ، وإن أطعته أقبلت عليه ، وإن أقبلت عليه سعدت بقربه ، وإن سعدت بقربه تاقت نفسك إلى الجنة .

سيدنا عمر بن عبد العزيز يقول : تاقت نفسي إلى الإمارة فلما بلغتها تاقت نفسي إلى الخلافة ، فلما بلغتها تاقت نفسي إلى الجنة ، معنى ذلك أنه أراد الإمارة والخلافة لتكونا مطيَّتين إلى الجنة . . فلما بلغتهما تاقت نفسي إلى الجنة .

من الملاحظ بداهةً أنه في مقتبل العمر تكون الأمور متشابهة عند جميع الناس إلى حد بعيد . .فالشاب في أول حياته يكون خطُّه البياني في صعود وارتقاء ، لكن بعد حين يبدأ الخط البياني الصاعد يسير مستقيماً ثم يبدأ ينحدر ، فإنه عندئذ يؤذن ببدء النهاية ، نهاية المطاف وهي صعبة جداً ، إلا لمن أمضى حياته في طاعة الله ، فالمغادرة لا تحتمل إلا لمن قدم بين يديه أعمالاً صالحة كبيرة .

الاسم هو « **الأكرم** » ، والأكرم اسم تفضيل . . قال الله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ من الكرم ، والكرم ضدُّ اللؤم .

بالمناسبة الأخلاق لها مفردات مثل : الشجاعة ، أو الصبر ، أو الحلم ، وتحمل بعض الصفات الإنسانية معاني جامعة ، فمثلاً المروءة . . صاحب المروءة كريم ، صاحب المروءة عفيف ، صاحب المروءة شجاع ، صاحب المروءة يلبِّي حاجة الضعيف ، صاحب المروءة ذو نجدة ، صاحب المروءة يبادر إلى إغاثة اللهفان ، كلمة مروءة ، كلمة تشمل عشرات الصفات . . أما اللؤم والعياذ بالله ، بخل على جبن على كِبْر على أَثَرَةٍ على قسوة على دناءة .

فكما قال سيدنا علي بن أبي طالب : والله والله مرتين لحفر بئرين بإبرتين . . هل يمكن حفر بئر بإبرة ؟!! حفر بئرين بإبرتين ، وكنس أرض الحجاز في يومٍ عاصفٍ بريشتين ، ونقل بحرين زاخرين بمنخلين ، وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا أبيضين . . أهون عليَّ من طلب حاجةٍ من لئيمٍ لوفاء دين .

هل تعلمون ماهو الذل ؟ الذل أن يقف الكريم باب اللئيم ثم يرده ، أنت كريم احتجت إلى لئيم فالأمر لا يحتمل ، وهناك أناس كرام لا يسمح أحدهم لنفسه أن يقف موقف ضعفٍ أمام لئيم ولو ضاعت منه الدنيا بأكملها .

فإذا كنت واقفاً على إشارة المرور الحمراء انتظر دقيقتين حتى تلوح الخضراء ، خير من أن تقف موقفاً أمام إنسانٍ سيحاسبك بقسوة إن خالفت ، الإنسان المؤمن كريم ، لا ينبغي للمؤمن أن يُذل نفسه ولا ينبغي له . . اطلبوا الحوائج بعزِّة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير . . من جلس إلى غنيٍّ فتضعضع له ذهب ثلثا دينه .

إليكم هذه القصة التي من المناسب أن أذكرها لكم . .

روي أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ يسأله فقال : ـ لك في بيتك شيء ، قال : بلى ، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقدح نشرب فيه الماء ، قال : (ائتني بهما قال فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده ثم قال(من يشتري هذين ؟) فقال رجل أنا آخذهما بدرهم قال(من يزيد على درهم ؟) مرتين أو ثلاثاً قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين . فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فأتني به ففعل فأخذه رسول الله ﷺ فشد فيه عوداً بيده وقال (اذهب فاحتطب ولا أراك خمسة عشر يوماً) فجعل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فقال(اشتر ببعضها طعاماً وببعضها ثوباً ثم قال : هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو دم موجع .

[رواه أبو داود وابن ماجه]

العلماء فسروا هذا الموقف.. أن الإنسان إذا قلق على أهله يضعف إنتاجه فهو لا ينتج ، أما حينما يوفر الطعام لأهله فإنه يعمل وينتج .

النبي عليه الصلاة والسلام قال له : « **اشترِ بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك واشترِ بالآخر قدُوماً واذهب فاحتطب** » ، عاد بعد سبعة أيام وقد جمع عشرة دراهم ، قال : « **هذا خيرٌ لك من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة** » ، علمه درساً في التعفف عن المسألة ، كما علَّمه أنّ عليه أن يقرع أبواب الرزق التي شرعها الله لعباده .

فالإنسان إذا فتح على نفسه باب مسألةٍ ، فتح الله عليه باب فقرٍ .

لأن الذي أعطى غيرك سوف يعطيك.. فالذي يلفت نظري أن شاباً مؤمناً تكون الطرق كلها أمامه مغلقة ، فيطرق باب الله تعالى قائلاً : ياربّ! الأمر بيدك وقد تعلق قلبه ورجاؤه بالله فهل يرده الله خائباً ؟ لا . لن يرده الله إلا موفوراً .

قال لي أخ كريم : صليت قيام الليل ودعوت الله من أعماقي أن يرزقني كي أتزوج ، وذكر لي : أنه يملك محلاً في أطراف المدينة لتصليح مكيّفات ، ولكنه لا يطرق باب محلّه ولا زبون واحد ، وتابع قائلاً : وأنا على أحر من الجمر أريد الزواج ، وخطبت فتاة صالحة وممتازة ، لكنها تنتظر مني أن أعطيها شيئاً ، وأن أخطبها رسمياً ، وأن أعقد العقد ، وأيقنت ألا ملجأ ولا ملاذَ إلا الله ، فهو الملجأ والملاذ ولا أحد سواه ، فقمت ذات ليلة وصليت ركعتين في جوف الليل ، وسألت الله في السجود أن يرزقني رزقاً حلالاً طيباً كي أتزوج ، ولم يلبث وهو يقص القصة أن بكى ، وقال : والله خلال مدة عشرين يوماً حَصلتُ على سبعين ألف ليرة من المحل نفسه ، ثم قال : وتهافت الزبائن على المحل بعضهم لتصليح جهازه أو لتركيب أجهزة جديدة وجرى بيع كثير ، وكان قد مضى على المحل مفتوحاً سنتان ، وكانت أموري خلالها بائسة ، ثم بالدعاء والابتهال فتح الله ما كان مغلقاً ، والأمر بيد الله عزَّ وجلَّ .

إن الحديث الذي أذكِّر به دائماً وهو من أدقِّ الأحاديث :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ الْوُضُوءِ ، وَلأَخَّرْتُ الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفِ اللَّيْلِ فَإِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**

جَلَّ وَعَزَّ فَقَالَ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ ؟ » [مسند الإمام أحمد] .

لأيامٍ طويلة ربنا عزَّ وجلَّ ولحكمةٍ بالغة يُقَطِّعُ آمالك من الخلق ، فإذا يئست منهم فتح لك بابه ، فأنت كن ذكياً ألمعياً واتجه إليه مباشرةً ولا تطرق باب الخلق أصلاً .

إذاً : الكرم ضدُّ اللؤم.. والكرم في أدق تعاريفه فِعلُ ما ينبغي لا لغرض .

أكثر الأجانب أذكياء جداً قد ينتزعون إعجابك بدقَّة مواعيدهم ، وبإتقان صنعتهم ، لكن غرضهم الربح ، غرضهم التنمية بالتعبير الاقتصادي الحديث ، غرضهم رفع مستوى الأرباح ، لذلك يعتنون جداً بصناعتهم وبتجارتهم وبمواعيدهم وبإتقان منتجاتهم . هم يفعلون ما ينبغي ولكن يفعلونه لغرض.. أما الكرم فهو أن تفعل ما ينبغي لا لغرض قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان : ٩] .

فمن وهب المال لجلب النفع ، أو لدفع الضُرِّ ، أو للخلاص من ذمٍّ فليس بكريم ، وبعد ، إذا عمل الإنسان عملاً بطولياً ، كأن يقول لك : هذا لأغراض انتخابية ، فهذا ليس بطولياً.. وفي العالم كله إذا عمل إنسان عملاً بطولياً فهو بمقياس الناس عمل إنساني ، ما الذي يفرغه من مضمونه ؟ أنه لأسبابٍ انتخابية فقط ، إذا تداعى العمل وهوى صاحبه ، فهذا معنى إحباط العمل.. أما المؤمن فإنه يفعل الأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله لا لمديحٍ ولا لثناءٍ ولا لمكافأةٍ ولا لذكرٍ يجري بين الناس .

والعلماء قالوا : من وهب المال لجلب نفعٍ أو دفع ضرٍ أو خلاصٍ من ذمٍّ فليس بكريم . . وأكرمه إكراماً أي عظَّمه ونزَّهه ، والكريم هو الصفوح عند الذنب ، والكرم إذا وصف به إنسان فهو اسمٌ لأخلاقٍ عديدة وأفعالٍ محمودة تظهر منه ، اسم جامع كالمروءة ، في حين أن اللؤم اسم جامع لمفردات من الأخلاق الخسيسة ، فاحذر اللؤم فإنه صفة مرذولة ، وكن كريماً ، فإن الكرم صفة من صفات الله الحميدة .

قالوا : الكرم يقترب من الحرية ، الحرية صفة مديح ، فلان حرّ ، الإنسان إذا خضع لنزواته ليس حراً فهو عبد ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « **تعِس عبد الدرهم** » أي عبد المال .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ** » .

فالإنسان أحياناً يخضع لنزواته ، إذاً هذا ليس حراً بل هو عبدٌ ، الإنسان يخضع لعصبيته الضيِّقة ، فابنه مثلاً على حق ولو كان أسوأ الناس ، ورفيق ابنه على باطل ولو كان أحسن الناس ، وهذا الشيء يظهر عند النساء تثني على ابنتها وتمدح ابنتها ، وأنّ ابنتها ليس أرقّ ولا أحسن منها بين بنات الناس ، وابنتها فهيمة ، وابنتها طبَّاخة ، وابنتها مثقَّفة ، وابنتها وابنتها . . وحينما تتزوج هذه البنت يبدو منها مالا تحمد عقباه ، فهذه المرأة ليست إذاً حرة ، لأنها تزوِّر الحقائق بدافع من عصبيةٍ ضيقة .

من هو الحرّ ؟ الذي ينطق بالحقيقة ولو أنها مرة . من هو الحرّ ؟ الذي ينصف الناس من نفسه ، فكلمة حر أي لا يخضع لهوى ،

لا يخضع لنزوة ، لا يخضع لضغط ، لا يخضع لفقر ، لا يخضع لطمع ، الطمع أذلَّ رقاب الرجال ، كاد الفقر أن يكون كفراً ، الإنسان يحبُّ عشيرته ، وأبناء ملَّته ، وأبناء جلدته يحبهم إلى درجة الكذب والنفاق ، ويكره أعداءه إلى درجة الظلم يجحف بحقِّهم ، من هو الحرّ ؟ الذي ينطق بالحق ولو كان مراً .

إلا أن العلماء قالوا : « **الحرية تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة ، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة ، كمن ينفق مالاً في تجهيز جيشٍ في سبيل الله** » . . ، حينما جهَّز عثمان بن عفَّان رضي الله عنه الصحابيُّ الجليل جيشَ العسرة بأكمله قال رسول الله ﷺ : « **ما ضرَّ عثمان ماعمل بعد اليوم** » ، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان يقدِّر المعروف .

أحياناً يقدم إنسان خدمات إلى المسجد مثلاً ، أويقدم خدمات لدعوة ، يقوم بعمل طيب ، يسهم في خدمة الآخرين ، فالله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وأنا لا أنسى أبداً الآية الكريمة التي تذكر أن امرأة عمران وهبت ما في بطنها محرّراً لله تبارك وتعالى ، قال سبحانه :

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران : ٣٥] .

هل هناك شخصٌ ليس له ميزة . مستحيل ، هذا يتقن الرياضيَّات ، وآخر يتقن العلوم ، وثالث اللغات ، وهذه المرأة تتقن الطبخ مثلاً ، إنها امرأة أصيبت بمرضٍ خبيث في دماغها وشفاها الله عزَّ وجلَّ فنذرت لله عزَّ وجلَّ أن تعمل صالحاً ، فقيرة لا تملك من حطام الدنيا

شيئاً ، فاستأجرت غرفة وصارت تطبخ الطعام الشهي النفيس وتبيعه للأسر الغنية التي تحب أن تأكل طعاماً بيتياً ، وبالربح صارت تعالج المرضى ، هذا مثل حي وناطق.. امرأة لا تملك إلا فنَّ الطبخ وظّفت هذه القدرة في العمل الصالح وبدأت تسدِّد نفقات عمليات وخدمات للفقراء المرضى فقد تقرَّبت إلى الله بطبخها .

هل يوجد إنسان ليس له ميزة ؟ ؟ . امرأة عمران ماذا تملك ؟ تملك مافي بطنها قالت : ربِّ إني نذرت لك مافي بطني محرراً .

في مجتمعنا أخ محامٍ ، وأخ طبيب ، وأخ مهندس ، وأخ مدرس ، وإنسان حالته المادية جيدة ، وإنسان عنده قدرة على الإقناع ، وإنسان عنده خبرات معيَّنة ، فتجد الحياة تحتاج إلى تعاون ، قدِّم شيئاً ما لله عزَّ وجلَّ ولا تعجز .

عن ابن الخصاصية السدوسي قال : أتيت رسول الله ﷺ أبايعه فاشترط علي أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وتصلي الخمس وتصوم رمضان وتؤدي الزكاة وتحج البيت وتجاهد في سبيل الله فقلت : يارسول الله أما اثنتان فلا أطيقهما : الزكاة فوالله مالي إلا عشر ذود (ذود : جمال) هن رسل أهلي وحمولتهم ، وأما الجهاد ؛ فيزعمون أنه من ولى الدبر فقد باء بغضب من الله فأخاف إذا حضرني قتال خشعت نفسي (أي : فزعت) فكرهت الموت ، فقبض رسول الله ﷺ يده وحركها وقال : لاصدقة ولا جهاد فبم تدخل الجنة ؟ فبايعته عليهن كلَّهن .

قال له : لا صدقة ولا جهاد فبمَ تدخل الجنة ؟

والله أنا أحياناً أكون ممتناً جداً ومسروراً من بعض الإخوة إذ يقول

لي أحدهم : أنا محامٍ إذا اتصل بك أخ فقير له قضية فابعثه إليّ ، فالله يجزيك الخير.. ويقول لي آخر : أنا محلل في مخبر إذا علمت بأخ فقير يريد أن يحلل فأنا جاهز.. أنا طبيب لو أرسلت لي أخاً فقيراً أعالجه مجاناً.. وذات مرةٍ أخ من إخواننا الكرام جرَّاح ، قال لي : أنا مستعد أن أستقبل أيَّ أخٍ يريد إجراء عملية ، بعثنا له أول أخ عمل له عملية بالمشفى وفي الدرجة الثانية ونجحت العملية ، بعثنا له أخاً ثانياً وأخاً ثالثاً.. فهذا أدى زكاة اختصاصه وجزاه الله خيراً كثيراً ، فيجب أن نتوَسَّع في مفهوم الزكاة ، فهناك زكاة مال ، وهناك زكاة وقت ، وزكاة خبرة.. إلخ .

لنا قريب عنده محل للحلويات في ساحة المرجة بدمشق ، وهذه القصة منذ ثلاثين سنة دخل لمحله شخص أرمني ، قال له : هل تعلِّمني صناعة الفرنية « الكاتو » ؟ فاستجاب له : ولبّى طلبه وعمل أمامه طبخة ـ خلطة ـ وأدخلها إلى الفرن وقال له : اكتب الكميَّات والمعايير ، ثم كلفه أن يقوم بعمل طبخة واحدة أمام صاحب المحل ، فعمل طبخة أمامه ، ثم أقسم صاحب المحل : والله يا أستاذ منذ ثلاثين سنة وكل سنة يزورني ذاك الشخص ويحضر لي هدية من القامشلي ويقول : كل هذا الخير من فضلك.. لم يَضِعْ معه المعروف.. هذا ماذا فعل ؟ أدى زكاة خبرته ، ومن الممكن أن تؤدي زكاة مالك ، زكاة وقتك بدرس علم ، زكاة خبرتك علِّم . بعث شخص ابنه لمحل بدون أجر ليعلمه الصنعة فلم يعلِّمه ، بل كان صاحب المحل عندما يريد أن يفك المحرك يقول له : اذهب خارج المحل ، لم يعلمه خوفاً من أن ينافسه ذات يوم.. علِّمه يا رجل ، والله هو الرزَّاق ، أدِّ زكاة خبرتك ، أدِّ زكاة مالك ، أدِّ زكاة وقتك ،

أدِّ زكاة صحتك ، أعن المرضى ، أدِّ زكاة وقتِ فراغِك ، أعن الضعفاء .

إذاً مَن الحرّ ؟ قد يقال : فلان حر إن صدرت عنه محاسن صغيرة وكبيرة ، أما لا يقال له كريم إلا إن صدرت عنه المحاسن الكبيرة ، كمن ينفق ماله في تجهيز جيشٍ بأكمله ، كمن يتحمَّل ديّات القتلى ويحقن دماء المسلمين ، هذا عمل جليل .

أما النقطة الدقيقة في دلالتها ومعناها فهو أنه ليس المهم أن تقرأ الآية وترددها بلسانك كثيراً ، لكن المطلوب منك أن تدقق في معانيها . . قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ . . أعلاكم مكانةً عند الله وأشرفكم وأقربكم إلى الله أتقاكم . . المعاني مفهومة واضحة ، فهل عملت بها ؟

الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يعلمك أن المقياس عنده التقوى أي الطاعة ، قال الله تعالى :

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

أتحب أن تكون عند الله أكرم الناس ؟ أطعه . . الشيء بين يديك مبذول ، آلاف الناس لن تستطيع أن تصل إليهم ، ولن تستطيع أن تخطب ودَّ أحدهم ، ولن تستطيع أن تقابله فالأبواب دونه مغلقة ،

لكنَّ الله جلَّ جلاله خالق الكون يقول لك : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ ، فأيُّ إنسان يطع الله عزَّ وجلَّ الله يقربْه ويرفعْ له مكانته ، أما إذا وصف الله عزَّ وجلَّ بالكرم ، فإنما هو اسمٌ لإحسانه وإنعامه المتلاحق .

جاء اسم الأكرم في قوله تعالى في سورة العلق : ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ، أي هو أكرم الأكرمين ، هو المعطي ، هو المسعد ، هو المحسن ، وكثير من الناس ـ والعياذ بالله ـ لا يرون إحسان الله .

أحياناً تؤدي عن إنسان أجرة الركوب في السيارة خمس ليرات تكرمة له ، فتجده طوال الطريق يَشْكرك بعبارات مترادفة وهو مسرور منك كأن يقول لك : جزاك الله الخير ، ويعيدها لك عدَّة مرَّات من أجل خمس ليرات أكرمته بها .

فالذي منحك نعمة الوجود بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً ، نعمة الإيجاد ، نعمة الإمداد ، نعمة الهدى والرشاد ، خلق لك من جنسك امرأة هديّةً لك هي آية سكن ومودة ورحمة ، آواك في بيت ، أطعمك ألوان الطعام ، خلق لك أنواع الفواكه ، رزقك ابناً يملأ عليك البيت فرحاً وسروراً ، زوّدك أجهزة دقيقة ، فقد قال تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد : ٨ـ١٠] .

فهذا الذي خلق كل هذه النعم ألا يستحقُّ أن تشكره ، أن تذكره . . إنَّك إذا ذكرتني شكرتني وإذا نسيتني كفرتني .

وفي سورة الرحمن أيضاً آية ثانية :

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٦ـ٢٧] .

العلماء قالوا : لا ينبغي أن تقول : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ . . وتقف بل ينبغي أن تتابع الآية فتقول : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ .

أي أنَّ الله عزَّ وجلَّ هو المكَرِّم ، هو الكريم ، هو المعطي ، منحك كل النعم ، أما هذا الإنسان الجاهل الغافل فهو مسكين إذ يعزو هذه النعم إلى غير الله ، فيعزوها تارةً إلى ذكائه .

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾

[القصص : ٧٨]

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف : ٥١] .

وقد يعزوها إلى مهارته في العمل أو حسن حظه .

والإنسان ينبغي أن يعلم حقيقة الأُلوهية . . فالكون كله عطاءٌ من عطاءاته . . فأنا أذكر ذلك كثيراً . . فهل من الممكن أن تصدِّق أنَّ هناك مليون مليون مجرَّة ، وفي كل مجرَّة فيها مليون مليون نجم ، أي لو كتبنا رقم واحد وأمامه أربعة وعشرون صفراً فما هذا الرقم !!! إنه رقم خيالي وكل هذه الكواكب والنجوم مسخَّرةٌ للإنسان ، الله عزَّ وجلَّ قال :

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾

[لقمان : ٢٠]

فإذا قرأ أحدكم قوله تعالى : ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ

﴿بِٱلْقَلَمِ﴾ ، ألا يشعر برعشة ، بخفقان ، بجلد يقشعر ، بقلب يخفق . . ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ .

الدين أساسه الحب ، إذا أُلغي الحب من الدين صار الدينُ ثقافة ، وطقوساً ، وفلكلوراً ، وعادات ، وتقاليد ، ومعلومات ، ومشاعر ، وكتباً وهكذا ، أما إذا كان في الدين حُبٌّ فإنه يفعل كل مستحيل .

النبي عليه الصلاة والسلام قال لفاطمة : مايمنعك أن تسمعي ماأوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت : **يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين** [النسائي والبزار] .

ومر بزيد بن الصامت الزرقي وهو يصلي وهو يقول اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت ياحنان يامنان يابديع السماوات والأرض ياذا الجلال والإكرام فقال رسول الله ﷺ لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

قال تعالى ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ .

وبعد ، فمن إجلال الله عزَّ وجلَّ ، من إجلالك لكرمه فقد قال العلماء : المؤمن يُجلُّ الله فلا يعصيه ، ويطيعه فلا يخالفه لأنَّه ذو الجلال والإكرام وذو العظمة والكبرياء ، فلا أريد أن أُطيل . . الكافر يقف عند النعمة ، ويعمى عن المنعم ، والمؤمن يتجاوزها إلى المنعم .

النبي عليه الصلاة والسلام كانت تَعْظُم عنده النعمة مهما دقَّت ، والمؤمن يتقلَّب في نعم الله ، وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه

قال : « أحبُّوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبُّوني لحبِّ الله ، وأحبّوا آل بيتي لحبي » .

وأخرج البيهقي من حديث ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ روي عنه أنه قال : « إن داود عليه السلام قال فيما يخاطب ربه عز وجل : يا رب! أي عبادك أحب إليك أحبُّه بحبك ؟ قال : يا داود أحب عبادي إلي نقي القلب ، ونقي الكفين ، لا يأتي إلى أحد سوءاً ، ولا يمشي بالنميمة ، تزول الجبال ولا يزول ، أحبني وأحب من يحبني ، وحببني إلى عبادي ، قال : يا رب! إنك لتعلم أني أحبك وأحب من يحبك ، فكيف أحببك إلى عبادك ؟! قال : ذكرهم بآلائي وبلائي وبنعمائي ، يا داود! إنه ليس من عبد يعين مظلوماً ، أو يمشي معه في مظلمته ، إلا أثبت قدميه يوم تزل الأقدام » .

ذكِّرْهم بآلائي كي يُعظِّموني ، وذكِّرهم بنعمائي كي يحبُّوني ، وذكِّرهم ببلائي كي يخافوني .

فالملخَّص : أنَّه لا بدَّ من أن يجتمع في قلب المؤمن تعظيمٌ لله ، وخوفٌ منه ، وحبٌّ له ، تعظيم بالآلاء . . وتخويف بالمصائب . . ومحبَّة بالنعم .

كأس من الماء تشربه وطريق الخروج سالك نعمة كبرى ، فلو كان غير سالك فآلام حصر البول لا تُحتمل ، فيلزمه الذهاب للإسعاف في الساعة الثالثة ليلاً لفتح مجرى البول ، أكلت طعاماً . . والطريق سالك نعمة أخرى كبرى ، أيضاً لو كان هناك انسداد . . قال تعالى :

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ

كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد : ١٥] .

﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ . . فالأمعاء ليس بها إحساسٌ لا بالحر ولا بالبرد ، فلو وضعت فيها ماءً يغلي فلا إحساس عندها ، أما آلام الضغط داخلها فإنها لا تُحتمل ، إذا أكلت طعاماً وكان الطريق سالكاً ، مشيت متوازناً . فلو اختلَّ جهاز التوازن لاحتجت إلى عصا لتمشي مستعيناً بها ، فأنت تمشي متوازناً ، والأجهزة تعمل بانتظام ، والحواس الخمس سليمة . . فهذه من نعم الله العظمى .

أذكِّر وأردِّد مرة ثانية . . . الآلاء للتعظيم ، والنعم للحب ، والمصائب للخوف . . بالخوف تتقي أن تعصيه ، وبالحب تقبل عليه ، وبالتعظيم تتابع الرُقِيَّ إليه . . وهذا من بعض الخواطر الإيمانيّة المتعلِّقة باسم الله الأكرم . . ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ . .

وفي النهاية لا بد من أن تقول : أنت إنسان أَودع الله فيك قوةً إدراكيَّة فإن لم تتعرَّف إليه عطَّلتها ، وإذا عطَّلت القوة الإدراكيَّة هبطت إلى مستوىً لا يليق بك .

اللهمَّ أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تُهنّا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارضَ عنَّا ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمدٍ النبيِّ الأميّ وعلى آلهِ وصحبه وسلَّم .

* * *